

## قبل الرحلة

أروع

الأحداث هي تلك التي تصنعها لنا الأقدار، ففي حبكة درامية خارقة تحدث كل الإبداعات الخيالية أخرجت الأقدار اللقطة الأخيرة في حياة البطل الفريق «سعد الشاذلي» متزامنة مع الإعلان عن رحيل الرئيس مبارك عن الحكم وتخليه عن رئاسة الجمهورية في نفس يوم ١١ فبراير ٢٠١١ م، وأثناء اندلاع ثورة ٢٥ يناير عندما قدّر الله تعالى مصير الظالم والمظلوم في يوم واحد! وكان يوم الجمعة يوما تاريخيا لكل المصريين يوم احتفالهم بنجاح ثورة ٢٥ يناير في إسقاط رأس النظام (مبارك) والتي أطلق عليها الثوار جمعة الرحيل، فتحول وداع البطل الفريق «سعد الشاذلي» إلى احتفال شعبي كبير يليق بمكانته التاريخية في مصر والعالم العربي، شارك فيه ملايين المصريين بصلاة الغائب «للشاذلي» الذي عاش حياته محاربا من أجلهم.... يا سبحان الله.

وأثار دهشتي في هذا المشهد المهيّب أن الملايين التي هتفت مطالبة بسقوط مبارك، هي نفسها التي رفعت أكف الضراعة في نفس اليوم تطلب من الله تعالى في صلاة الغائب الرحمة «للشاذلي» وهو في طريقه إلى مثواه الأخير في الدنيا! فأعدت هذه اللقطة «المعجزة» إلى ذاكرتي لقطة أخرى لاتقل عنها روعة لازالت منقوشة في ذاكرتنا الوطنية

بحروف النصر وحى لحظة التفاف الجنود والضباط حول قائدهم الفريق «سعد الشاذلى» على خط النار يعانقونه بفرحتهم العارمة بالنصر يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣م ويهتفون «للشاذلى» بنجاح خطته.

حرصت على تسجيل مشوار حياة الفريق «سعد الشاذلى» الخاصة والعسكرية ليس باعتباره واحداً من أبرز القادة العسكريين فى التاريخ المصرى الحديث وحسب، ولكن لأنه كان بمواصفاته العسكرية والإنسانية حالة خاصة من البشر! وقائداً عسكرياً من الطراز الأول، شهد بكفائته القادة العسكريون على اتساع العالم، بعدما سطر بشجاعته فى ميادين القتال صفحات فخار من تاريخ مصر، كما تميز بصلابته فى مواجهة تحديات الحياة فما كان يعبأ بالأزمات ولا تهزمه التحديات؛ إذ كان يتمتع بقدرة خارقة فى تحويل الهزائم والأزمات إلى انتصارات حتى بلغت نشاطاته الثقافية والاجتماعية ذروتها فى سنوات الغربة والظلم الذى زاده شهرة على شهرته، وتحولت وقتها قضية ظلم «الشاذلى» إلى قضية قومية صال فيها وجال رأى العام، بعدما أصبح بدخوله السجن فى وطنه منتصراً، أول ضابط فى تاريخ الجيش المصرى برتبة فريق يدخل السجن ظلماً وبدون محاكمة وكانت جريمته ووطنيته وحيه لبلاده.

ومن المواقف العظيمة التى سيحسبها التاريخ للبطل الفريق «الشاذلى» أنه فى الوقت الذى حكمت عليه السلطات فى مصر بالسجن وحرمانه

من حقوقه المدنية والقانونية وهو بعيد عن وطنه، تسابقت بعض الأنظمة العربية لاستقطابه للاستعانة بعبقريته العسكرية والإنسانية لصالح بلادهم لكنه رفضها جميعها لأنه كان يعتز بمصريته وبيدين بولائه لوطنه مصر.

دفعنى كل ذلك أن أكتب للتاريخ قصة حياة هذا البطل العظيم قائد أول حرب عربية منتصرة فى التاريخ العربى الحديث، البطل الذى ظلته الأنظمة وأنصفه التاريخ، وعاش رمزا وطنيا جليلا لأجيال مضت وأجيال أخرى ستأتى، وما أكثر ما كتب من مؤلفات عن الفريق الشاذل بعد رحيله لذا حاولت فى هذا الكتاب أن أختار زاوية أخرى جديدة هى حياته الخاصة مع أسرته ، وأسطر لقطات من حياته فى منفاه المختار بالجزائر، كما حاولت أن أتجاوز أسوار محبسه فى فترة سجنه لأعرف كيف كان بطلا فى غربته ومحبسه كما كان بطلا فى ميدان القتال، لأكشف عن عبقريته الإنسانية لتكتمل بذلك جماليات الحقيقة، ولأجعل من أوراق هذا الكتاب تحية إلى ذكراه وباقه على قبره اعتذارًا عما لاقاه من بطش وظلم فى وطنه وموطن انتصاراته، فالكتابة عن أبطال مصر شرف وطنى أفتخر به. وسيظل اسم الفريق «سعد الشاذل» قيمة وقامة عالية وعلامة مضيئة فى سجل التاريخ العسكرى العربى ودرة فى جبين مصر.

آمال البنا